الفائدة الثلاثون:

فضيلة الجلوس مع الصالحين في مجالس الذكر

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

أخرج أبو داود في «سننه»(١)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ، مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى، أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً**»، والحديث خرجه شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

وفي هذا الحديث بيان لعظم حضور مجالس الذكر، ولعظم ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وتكثير سواد الصالحين، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف:٢٨].

* **فالجلوس مع الصالحين سبب لنيل الحسنات،** كما قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه من أن الملائكة يقولون يارب: «**فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**»(٢).

---

(١) برقم (٣٦٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقوله: «**لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى**»، بهذا القيد، أما مجالس الغيبة، والنميمة، والقيل والقال، والكذب، والضحك التي تُقسي القلب، وتبعد عن الله عَزَّوَجَلَّ فلا بركة فيها، فقد نهانا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عن «**قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»(١)؛ ولكن القعود مع الصالحين سبب لنيل الحسنات، ورفع الدرجات، والنبي ﷺ مع أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه، وهو في المقام المعلَّى، ومع ذلك بين لمن يسر الله له القعود مع هذه الثلة الذاكرة لله عَزَّوَجَلَّ من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إليه من عتق أربعة من ولد إسماعيل.

* وفي الحديث فضل عِتق العبيد، والإماء، وقَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً، أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ**»(٢).

* ومع ذلك فالذكر أعظم أجرًا وأسهل تحصيلًا.

وفي الحديث بركة الوقتين؛ بركة وقت آخر النهار، وأول النهار؛ وهما وقتان مباركان، محبوبان عند رسول الله ﷺ، وقبل ذلك عند الله عَزَّوَجَلَّ إذ خصهما بعبادات دون غيرهما، قَالَ تَعَالَى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ} [الروم:١٨]، ولهذا خُصَّ هذان الوقتان بمزيد ذكرٍ لله عَزَّوَجَلَّ كأذكار الصباح، وأذكار المساء.

فيا مسلم لا تبخل على نفسك في صباحك، ومسائك بنيل الدرجات العلى، والنعيم المقيم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣)، عَنْ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويا مسلم لا تضيع هذه الأوقات المباركة بغير ما يقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان:٣٤].

وأحاديث النبي ﷺ فيها بركات كثيرة، لكن نأخذ الظاهر من دلالتها، وإلا لو أراد أحد أن يتكلم عن فضل الذكر الذي تضمنه هذا الحديث لكان في سِفرٍ مستقلٍ؛ لأن النبي ﷺ بعث بجوامع الكلم.